

الشمس

الجزء العاشر اول ديسمبر (١٩١٠) السنة الاولى

هنري دونان

مؤسس جمعية الصليب الاحمر

نعت انباء البرق في الشهر الفات شيخاً جليلاً ورجلاً عظيماً
كادت الايام تندسج حوله عناكب الذسيان ، مع انه جدير بان يبقى حياً
في القلوب والاذهان . وافاه أجله في احدى قرى سويسرا في شيخوخة
صالحة بعيداً عن ضوضاء هذه الحياة بعد ان جاهد فيها جهاد الابطال
هنري دونان هو اسم رجل تجهله عامة الناس ، مع انه اهل لان
يكتب بماء الذهب في سجل المحسنين الى الانسانية . هو اسم رجل
كبير النفس والقلب ، سامي المرمى رفيع المبدأ . له على ابناء جنسه
الاياذي البيضاء ، فقد بذل في سبيلهم كل غالي ونقيس ليخفف عنهم
وطأة البلاء والسقاء . كيف لا وهو مؤسس جمعية الصليب الاحمر ذات
المواقف المعروفة في ساحات القتال ومساعدة المجرور على تضييد جرحه
وتعزية نفسه

وُلد هنري دونان سنة ١٨٢٨ في جنيفا من عائلة عُرُفت بالوجاهة

والثروة ، ومال منذ نعومة اظفاره الى اعمال البرّ والمطف على الانسان .
 وكانت له يدٌ تذكر في مقاومة الرقيق . ولم تلبث قصص الحروب والمرويات
 عن المعارك واهوالها ان وجهت منه النظر الى حالة الجرحى وما يقاسون في
 ميدان الكفاح . وفي سنة ١٨٥٩ لما استعرت نار الحرب بين النمسيين
 والفرنسيين ذهب بنفسه الى ساحات القتال ليدرس كيفية امكان
 مساعدة الجرحى ، وحضر معركة سولفرينو Solférino التي اشتبكت بين
 المتقاتلين في الرابع والعشرين من شهر يونيو (حزيران) من تلك السنة .
 وعند المساء اخذ يطوف ساحة الحرب . فنظر هناك عدداً كبيراً من
 من الجرحى مخضبين بدمائهم يئنون وينوحون ويستغيثون ويستنجدون ،
 ولكن لا مغيث ولا منجد . فأثر هذا المشهد في فؤاده ايّ تأثير ، وخفق
 قلبه لهول ما رأت عيناه ، وقال ما قاله غيره « قوتل الانسان ما اعظم
 شره . كيف يقدم على الفتك بأخيه الانسان ؟ » فجمع حوله بعض
 المتطوعين وبادر للحال مساعدة الجرحى المتروكين

ومن ذاك الحين اخذ يدرس ويبحث ويطلع ، فدخل في اعماق
 النفس البشرية ، فوجد ان الحرب مرض الانسانية وعلتها الكبرى .
 فوقف وقفة المداوي الخبير . فرأى ان هذه العلة صعبة الاستئصال ، وان
 شفاء هذا المرض العضال ضربٌ من المحال . فقال في نفسه : اذا كان
 ليس في الامكان ايجاد داءٍ لحسم هذا الداء فلنخترع له مسكناً يخفف آلامه
 وآلى على نفسه ان يفرغ جهده ويكرّس حياته في سبيل هذا
 المشروع العظيم ، فكتب مقالة عنوانها « ذكرى سولفرينو » يدعو بها

الشعوب المتقدمة الى الاتفاق على تأليف جمعية دولية تجمع الاحسان لمساعدة الانسان المجروح من يد الانسان . فكان لمقالته تأثير عظيم في النفوس ، ووقعت من الجميع موقع الاستحسان . ولكن صداها ما لبث ان خفت ، كما ان تأثيرها ما عتم ان يزال من القلوب . ففهم دونان ان مثل هذا المشروع يقتضي جداً طويلاً وسعيًا مستمرًا ، فاخذ يزور العواصم الكبرى ، ويخطب في المجالس والاندية حتى وضع اساساً لعمله وقاعدة لمشروعه

وكان الوقع الاكبر لصوته ، والنهضة العظمى وراء دعوته في عاصمة فرنسا حيث لاقى دونان كل مساعدة ومؤازرة . واول من مدَّ اليه يد المعاونة جريدة « الديبا » حيث اخذ الكاتب الشهير سان مارك جيراندن ينشر المقالات الشائقة في هذا الموضوع . وحذا حذوه غيره من الكتاب في سائر البلاد ، فانتشرت الفكرة انتشاراً بعيداً ، ولم يمضِ إلا القليل حتى تمَّ تأسيس جمعية الصليب الاحمر واصبحت مطمح انظار الجميع . فانتظم في سلكها كل عظيم وشريف ، منهم : غيزو ورنان وروايه كولار وده لسبس ومدام ستايل وغيرهم . وفي ٢٦ اكتوبر من سنة ١٨٦٣ اجتمع الاعضاء لأول مرة في مدينة جنفا ، وفي السنة التي بعدها عقدت في المدينة نفسها مؤتمر عام أرسلت اليه جميع الدول معتمدين يمثلونها لتقرير قانون الجمعية الدولية العامة لمؤاساة جرحى الحروب

وعلى هذه الكيفية كان تأسيس جمعية الصليب الاحمر التي وقفت نفسها من ذلك الحين على خدمة الجرحى ومساعدتهم على اختلاف

المذاهب والجنسيات ، تخففت شيئاً من أهوال الحروب وقللت من بلاياها
ونشرت راية السلام فوق نيران المدافع وبريق البواتر
ولا تسئل عن فرح دونان وغيبطته عندما رأى مشروعه مكافئاً
بالنجاح ، فقد نفسه سعيداً ورأى ان مهمته قد انتهت فاعتزل العالم
وعاش منفرداً في احدى القرى حتى كاد يصبح نسياً منسياً مع ان اسم
جمعيته طبق الآفاق ، وذكر مآثرها ملاً الاسماع . فلا يذكرها احد الا
بالثناء والاحترام . وأمام شاريتها المعروفة يسكت المدفع ، ويُعتمد السيف ،
وييسط ملاك الرحمة جناحيه على ضحايا البشرية

ولكن صاحب الفضل ينال ثوابه . ففي سنة ١٩٠١ نال هنري
دونان الجائزة التي وضعها العالم الاسوجي الفريد نوبل للذين يمتازون
بخدمة الانسانية إن بعلمهم او كتاباتهم او مشروعاتهم الخيرية . فكان له
فيها مسدٌ لحاجته

هذا هو الرجل الذي نعاه البرق في الشهر الماضي فلم تدبج القصائد
في رثائه ، ولم تفض الصحف في تعداد مآثره ، مع انه في طليعة من
خدموا الانسانية جماء

فأكرم بمثل هؤلاء الرجال الذين تجب كتابة اسمائهم على صفحات
القلوب اقراراً بفضلهم واعترافاً بجميلهم . ولينم هنري دونان سعيداً في
ضريحه فان قلوب الالوف من الذين تؤاسيهم جمعيته يباركون اسمه
ويستمطرون الغيث على ثراه